مجلة المختار للعلوم الإنسانية 30 (1): 137-150، 2015

Research Article Open Access

# الجامعة الليبية وجدلية التشكل الثقافي

أسمهان ميلود معاطي

Doi: https://doi.org/10.54172/w7gh8y11

**المستخلص** : تتناول هذه الورقة البحثية دور الجامعة الليبية في تشكيل الثقافة والنخبة الفكرية في ليبيا خلال الفترة من عام 1955 إلى عام 1973. تعد الجامعة الليبية مؤسسة مهمة في تطور المجتمع وإعادة إنتاج القيم والمعرفة في البلاد. يتمحور البحث حول فهم ثقافة الفضاء الجامعي وتأثيرها على المجتمع، وتحليل تشكل النخبة الفكرية في تلك الفترة. يتناول البحث أيضًا الظروف التاريخية التي واجهت تأسيس الجامعة الليبية وتحديات نموها، بما في ذلك قلة الموارد المادية والبشرية المتاحة في ذلك الوقت. يستند البحث إلى مصادر تاريخية وتقارير أممية للكشف عن الوضع التعليمي والثقافي في ليبيا خلال تلك الفترة.

**الكلمات المفتاحية**: الجامعة الليبية - ثقافة - نخبة فكرية - تشكل

The Libyan University and the Dialectics of Cultural Formation.

**Abstract:** This research paper examines the role of the Libyan University in shaping the culture and intellectual elite in Libya from 1955 to 1973. The Libyan University is a significant institution in the development of society and the reproduction of values and knowledge in the country. The research focuses on understanding the culture of the university space and its impact on society, as well as analyzing the formation of the intellectual elite during that period. The research also addresses the historical circumstances that the Libyan University faced during its establishment and growth, including the scarcity of financial and human resources available at the time. The study relies on historical sources and UN reports to uncover the educational and cultural situation in Libya during that period.

**Keywords:** Libyan University - Culture - Intellectual Elite - Formation

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

تعد الجامعة الليبية مؤسسة العلم المعرفة، وأداة للتطور الاجتماعي ووسيلة إعادة الإنتاج القيمي والمعرفي، نظرا لما أنيط بها من مهام تربوية وعلمية وسياسية واقتصادية، يتمثل بعضها في تكوين وتأهيل الرأسمال البشري علميا ومهنيا وفكريا وسياسيا، رافدة بذلك مختلف القطاعات الإنتاجية بما تحتاجه من قوى بشرية مؤهلة للإسهام في الرقي الاجتماعي والتطور الاقتصادي.

وانطلاقا من هذه الأهمية المركزية للجامعة الليبية كانت موضوع ورقتنا البحثية، وذلك من أجل مقاربة وفهم هذه المؤسسة فكرا ودورا وثقافة وآليات عمل، لمحاولة الإحاطة بثقافة الفضاء الجامعي، وما لهذه الثقافة الجامعية من آثار على الوسط المجتمعي بغية التعرف على ظاهرة التشكل للفئة النخبوية المثقفة آنذاك.

## محددات النشأة والظهور

إن الظرفية التاريخية التي نشأت فيها الجامعة الليبية تعد صعبة للغاية، فمسألة تأسيس المؤسسات المعرفية يقتضي بطبيعة الحال توفير ظروف ملائمة لذلك التأسيس ماديا وبشريا من تسهيلات مالية وكوادر تدريسية مؤهلة، وهو أمر افتقدته ليبيا في بداية الخمسينيات . فالاستشهادات التاريخية تؤكد بجلاء صعوبة الوضع الاقتصادي عند تشكل الدولة السياسي حيث كان متوسط دخل الفرد عام 1952حوالي 35 دولارا سنويا، وكان الصرف المادي مرهونا بالمساعدات الأجنبية المختلفة، فقد اعتمدت حكومات العهد الملكي المتعاقبة في تمويل موازنتها العامة ومشروعاتها الإنمائية على ما كانت تتلقاه من مساعدات مالية في ظل الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمتها مع كل من حكومتي بريطانيا والولايات المتحدةالأمريكية والمساعدات الفنية والمالية المحدودة التي تلقتها من بعض وكالات هيئة الأمم المتحدة[1].

أما القوى البشرية ونقصد بها الفئة المثقفة والمؤهلة، فالتقارير الأممية أشارت إلى أنه لم يكن للبلاد يوم الاستقلال سوى ثانويتين اثنتين لا غير، وكان مجموع التلاميذ في جميع أرجاء البلاد لا يتعدى 25ألف تلميذ أي 2% من عدد السكان، ونسبة الأميةبلغت حوالي 90%[2].

إن هذا التفسير الأيدلوجي أحادي الجانب ــوالذي يؤكد على الضعف الفكري لليبيين يعاني من قصور في الرؤية، وفيه انتقاصا لملامح الحركة المعرفية الليبية، مما يجبرنا على طرح تساؤل عن مفهوم التناسب بين معدل الهشاشة التعليمية، وقيام مؤسسة تعليمية عليا تهتم بإعداد النخبة؟

والحقيقةإن هذه المعدلات والمؤشرات الكمية رغم مصداقيتها فأنها مبالغ فيها لدرجة كبيرة باعتبارها مستقاة من التقارير الأجنبية كي تتيح للدول ذات المصالح في ليبيا التحكم فيها بالكيفية المناسبة. ويبدو أن المعايير التي استخدمتها افتقدت للمصداقية لسببين اثنين: أولهما الرقعة المكانية لليبيا واسعة جدا، وتفتقر لوسائل المواصلات

[1]1- اوكسيلند ، **تقرير عام عن الاقتصاد الليبي 1951** ، شكري غانم، **الاقتصاد الليبي قبل النفط**، بيروت، د.ت، صـ 21

[22]- البنك الدولي للإنشاء والتعمير، **تقرير التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا ، 1960** ، صـ4، محمود أبوصوة، **مدخل إلى تاريخلليبيا** ، دار الرواد، طرابلس ، 2012 ،صـ605.

ومن الصعوبة بمكان حصر المؤسسات التعليمية والمتعلمين بها، فالأمر اقتصر في هذه الحالة على النطاق الساحلي فقط دون التطرق إلى التجمعات الطرفية والبدوية. وثانيهما أن النسبة اختصت بنمط التعليم العصري: المدارس الرسمية والتي لم تكن تمثل إلا جزءا نسبيا من البنية التحتية للمجال التعليمي، واستبعدت المتعلمين في الزوايا والمساجد المتواجدين في مختلف المناطق والمدن والأقاليم، فالمجتمع الليبي بسبب الظروف السياسية والاجتماعية عمل على إيجاد مؤسسات تعليمية بديلة شكلت آنذاك أساسا للتكوين الفكري بليبيا. وبذلك فالمعطيات الكمية حول الحركة المعرفية الليبية في بداية الخمسينيات لم تكن بالدقة الكافية للحكم على ارتفاع معدلات الأمية.

ومما يدلل على صدق ما نقول إن ظروف الحياة المادية لم تشكل عائقايمنع الطلاب من الالتحاق بالمدارس بل وصل بهم الأمر إلى الانتظام المدرسي وهم حفاة رغبة منهم في التحصيل العلمي[3].فالوسط الليبي قد شهد صحوة ثقافية بعيد الحرب العالمية الثانية أثر عودة بعض المثقفين من الدول المجاورة الذين عملوا على إحداث تحولات نوعية في البنية المعرفية الليبية، تزامنت مع رغبة مجتمعية في تطوير الذات من خلال الالتحاق بالمدارس وإنشائها رغم الظروف القاسية فتزايدت أعداد المدارس والدارسين بها حيث بلغ عدد المدارس في السنة الدراسية 50-ـ 1951حوالي 193مدرسة عدد الدارسين بها 32 ألف طالب وطالبة في حين بلغ عدد الدارسين في المدارس الثانوية 702 طالبا وطالبة، فضلا عن المعاهد الفنية والتقنية التي استقطبت هي الأخرى عددا لابأس به[4]. ومما تجدر ملاحظته في هذا السياق المجهودات الأهلية لإنشاء الصفوف الدراسية بل أن الكبار أنفسهم انتظموا في الدراسة المسائية وخاصة في طرابلس وبنغازي.فبلغ العدد في طرابلس وضواحيها سنة 1949 قرابة 826 طالب [5].

والتشريع الليبي عبر عن الرغبة في الرقي المجتمعي من خلال المنظومة التعليمية، حيث أكدت النصوص الدستورية في موادها الثلاث - 29-2830 على عمومية التعليم ومجانيته وإلزامه للجنسيين.مما يدلل على وجود قاعدة مجتمعية للتأسيس المعرفي في ليبيا[6].

وتأسيسا على ماسبق كان إنشاء الجامعة ضرورة حتمية فرضتها عوامل التطور والتبدل فصدر المرسوم الملكي في 15 ديسمبر1955 ينص على ضرورة إنشاء الجامعة الليبية في مدينة بنغازي، وبغية دعمهاوالتعجيل بظهورها تقدم الملك بقصر المنار ليكون مكانا لها[7].

إن انطلاق الجامعة الليبية في الخمسينيات باعتبارها قضية وطنية ملحة فرضتها محددات متنوعة ومتباينة في آن واحد. ولعلنا لا نجانب الصواب أذا قلنا أن الجامعة نشأت ضمن شروط محاولة تلبية بعض المستلزمات الكمية للطلب الاجتماعي للتعليم الذي عرف في مستوي التعليم الإعدادي والثانوي بعد التوسع النسبي في مرحلة مابعد الاستقلال. فالرغبة الاجتماعية في إيجاد مؤسسات تعليمية عليا داخل الوطن

---

[3]- نقولا زيادة، **رسائل من برقة**، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، 2008 ،صـ43.

[4]- روجيه لي تورنو، **تقرير عن التعليم في ليبيا**. 1951أحمد القماطي، **تطور الإدارة التعليمية في ليبيا** ، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1978،صـ429.

[5]- **جريدة طرابلس الغرب**، العدد 89، 19 يناير ، 1949.

[6]- الدستور الليبي ، صـ6.

[7]- مصلحة الإحصاء والتعداد، **تشريعات التعليم في ليبيا**،1969، صـ161.

تغني عن شد الرحال شرقا إلى مصر وغربا إلى تونس كـانت جامحـة وفـوق التصـور. فضلا عن سد احتياجات القطاعات المختلفة من إدارة وتعليم ومجالات خدمية متعـددة بـالموظفين والمدرسـين والبـاحثين والفنـيين المـؤهلين تـأهيلا عاليـا من أبـرز عوامـل النشأة الجامعية.وكما يبدو أن أولويات نشر المعرفة كانت تمثل الهاجس الاسـتراتيجي لدى النخبة السياسـية المثقفـة الـتي سـعت إلى تأسـيس مؤسسـة معرفيـة عليـا تفي بمتطلبات المرحلة[8].

هذا وقد تبلـورت فكـرة التأسـيس الجـامعي لـدى المسـئولين الليبـيين عنـدما تقـدمت الحكومـة الأمريكيـة بمشـروع إنشـاء الجامعـة عقب عقـد اتفاقيـة المعونـة الفنيـة بين الحكومتين في 21-7- 1955على غرار جامعة نيفاذاالأمريكية، وأوفدتالأخيرة اثنين من أساتذتها وهمـا: (ويليـام ووودWilliam wad) و(جـون براتراندGun Bertrand)ليدرسـا إمكانية فتح فرع للجامعة في ليبيا. وقد قـدما تقريرهمـا النهـائي للحكومـة الليبيـة في 29-7- 1955.

في ذات الـوقت كـان هنـاك العـرض المصـري من خلال (محمـد فريـد أبـو حديـد) المستشار الفـني في وزارة المعـارف الليبيـة والـذي حمـل تصـورا بإنشـاء المؤسسـة الجامعية كنسخة مصغرة عن الجامعات المصرية في 5-9-1955.

إن التقارب الزمني بين تقديم المقترحين الأمـريكي والمصـري يعكس طبيعـة الصـراع بين الطرفين والذي شهد تحولا من المجـال السياسـي إلى المجـال المعـرفي لتوطيـد النفوذ واكتساب المواقع، ورغم هذه التجاذبات السياسية والعـروض الماديـة المغريـة المقدمة من قبل أمريكـا كـان الفـوز من نصـيب المشـروع المصـري من قبـل النخبـة الحاكمة بسبب سيطرة الثقافة المصـرية على العقليـة الليبيـة ردحـا من الـزمن. وقـد أشـار إلى هـذه الحقيقـة نقـولا زيـادة حين قـال: " المنهج المتبـع في التعليم مصـري بالمرة، لذلك يتعلم الطلاب هنا مثلا تاريخ مصر وجغرافياتها ولا يعرفـون إلا القليـل عن بلاهم"[9].

وبذلك يمكننا القول إن الحركة المعرفية المحلية لم تكن وحدها الرافـد القـوي لإنشـاء المؤسسة الجامعية. فالجامعة منذ التأسيس لم تقم على رؤيـة واضـحة حـول المعـالم والأهداف، وإنما نشأت في ظل شـروط عـدم التبلـور الواضـح لهـذا المعطي الفكـري والسياسي. فسرعة التكوين من جهـة، والتصـورات الخارجيـة المصـرية حـول هيكلتهـا العامة أفضت بطبيعة الحال إلى مفارقات متباينة من حيث التشكل الثقافي على كافة الأصعدة الحياتية والفكرية.

## مؤشـــرات التطـــور

إن إنشاء الجامعة يعد نقلة نوعية في صيرورة العمل الثقافي الليبي فتطورت تبعا لذلك مؤسساتها التعليمية المتوسطة، وتنوعت المجالات المتخصصة، وتعددت التيارات والاتجاهات الفكرية والأيدلوجية، مما ساهم في إثراء قاعدة التطور أفقيا وعموديا.

وقد بدأت الجامعة رسميا يوم1-ـ 22 -ـ 1956 في كلية الآداب والتربيـة بعـدد طلابي محـدود يقـدر بحـوالي31 طالبـا، وكـان النـواة الجنينيـة الأولى كليـة الآداب لآن هـذه

---

[8]ـ فتحي عوض قعير،" التعليم الجامعي في الجماهيرية "، **مجلة قاريونس العلمية** ، العدد الأول والثاني، 2000، صـ45.
[9]ـ نقولا زيادة، **المرجع السابق**،صـ 51.

الدراسة لاتتطلب إنشاء المختبرات، ولا تحتاج إلى كثير من الأجهزة العلمية التي يستلزم إعدادها فترة زمنية ليست بالقصيرة.وفي الوقت ذاته تلبي الطلب المتزايد في المدارس الرسمية للمدرسين المؤهلين تأهيلا عاليا، ثم أخذت قاعدة الجامعة في الاتساع وعلى مدى سنوات متقاربة ، ففي العام الجامعي 57-ـ 1958أقيمت كلية الاقتصاد والتجارة، وكلية العلوم طرابلس، وكلية الهندسة والزراعة في ذات المكان. وبذلك أصبحت الجامعة في غضون ثلاثة عشر سنة تضم ثماني كليات[10] .

ولا يفوتنا هنا أن نسجل ملاحظة على التوزيع الجغرافي لكليات الجامعة حيث اقتصر على المدينتين الرئيسيتين باعتبارهما العاصمتين. ذلك أن الدستور نص على ازدواجية العاصمة، فضلا على أنهما تحويان مرافق وخدمات لابأس بها توفر بيئة تعليمية مقبولة لحد ما للطلاب الجامعيين تفتقر لها المدن الأخرى في ظل تردي الوضع الاقتصادي بشكل عام.لكنمامدى مصداقية سياسة الاسترضاء للمدينتين خاصة إذا علمنا أن توزيع التخصصات المعرفية على المدينتين كانت مختلفة ففي الوقت الذي اختصت به بنغازي بالدراسات النظرية والإنسانية، احتوت كليات طرابلس على التخصصات العلمية، وربما كان ذلك لتحقيق هدف أسمى وهو خلق التقارب والمواطنة فالطالب من الشرق الليبي الذي يرغب التخصص في المجالات العلمية عليه أن يشد الرحال للغرب والعكس صحيح.

واقترن التأسيس الجامعي بالاستعانة بالخبرات المصرية في بداية الأمر وهم ستة أساتذة من أفضل عناصر التدريس بكلية الآداب بالجامعة المصرية، ورغم اعتراض الجامعات المصرية على إعارتهم بسبب خبرتهم، فإن الإصرار الليبي للاستعانة بهؤلاء النخب من جهة، وقبول عبدالناصر انتدابهم للعمل في ليبيا من جهة أخرى يسرت سبل انضمامهم للجامعة الليبية[11].

وازدادت أعداد الطواقم التدريسية المصرية على أساس الاستعارة وخاصة في التخصصات الأدبية، مما يؤكد بجلاء قوة التأثير المصري في المؤسسات المعرفية الليبية، وأن كانت المجالات العلمية احتوت على أساتذة من أوربا وأمريكيا والهند[12].هذا التنوع في الكوادر التدريسية أفرز تيارات فكرية متباينة في الوسط الجامعي، وأغنت العقلية الطلابية بمفاهيم تحديثية جديدة لم تكن موجودة من قبل.

وعلى الرغم من السيطرة المصرية فالعناصر الوطنية بدأت تأخذ مكانها في السلك التدريسي بشكل تدريجي كنوع من فرض الهيمنة الوطنية على المؤسسة العليا، وإيجاد البدائل التعليمية كلما تطلب الأمر ذلك، وكان أول المنخرطين بالتدريس الجامعي الأستاذ (مصطفى بعيو) و(إبراهيم الرفاعي)، ثم انضم إليهم المزيد من الأساتذة المتحصلين على الماجستير والدكتوراه، والذين أسهموا بدورهم في التدريس والإدارة في آن واحد [13].

---

[10]ـ سالم الكبتي ، **من تاريخ الجامعة الليبية**، الدار العربية للعلوم، بيروت،ط2، 2013 ،صـ 46.مصطفى التير، "نصف قرن من التعليم الجامعي" ، **مجلة الجامعي**، العدد التاسع ، 2005، صـ 26.

[11]ـ مصطفى بن حليم ، **صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي**، وكالة الأهرام للتوزيع، القاهرة،1992،صـ167.

[12]ـ مصطفى بن حليم، **ليبيا انبعاث أمة وسقوط دولة**، منشورات الجمل، ألمانيا، 2003، صـ381.

[13]ـ سالم الكبتي، **المرجع السابق**، صـ62.

أما المستهدفون بالدراسة الجامعية فقد تزايدت قوتهم العددية والنوعية عاما بعد الآخر مما يدلل على تطور مجتمعي بدأ يلوح في الأفق. والجدول التالي يوضح هذه الفرضية...

(جدول 1)

| الكلية | 57- 1958 | | | 62_ 1963 | | | 67- 1968 | | | 70- 1971 | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | **بنين** | **بنات** | **المجموع** | **بنين** | **بنات** | **المجموع** | **بنين** | **بنات** | **المجموع** | **بنين** | **بنات** | **المجموع** |
| الآداب | 109 | 5 | 114 | 357 | 28 | 385 | 820 | 120 | 940 | 1317 | 246 | 1563 |
| الاقتصاد | 48 | | 48 | 405 | 18 | 423 | 386 | 33 | 419 | 621 | 60 | 681 |
| العلوم | 32 | | 32 | 152 | 16 | 168 | 251 | 47 | 298 | 256 | 76 | 332 |
| الحقوق | | | | 71 | 1 | 72 | 286 | 17 | 303 | 486 | 15 | 501 |
| الهندسة | | | | 62 | 2 | 64 | 268 | 14 | 282 | 569 | 36 | 605 |
| التربية | | | | | | | 137 | 45 | 182 | 507 | 112 | 619 |
| الزراعة | | | | | | | 94 | 4 | 98 | 302 | 11 | 313 |
| الطب | | | | | | | | | | 44 | 5 | 49 |
| اللغة العربية | | | | | | | | | | 559 | | 559 |
| المجموع | 189 | 5 | 194 | 1047 | 65 | 1112 | 2242 | 280 | 2522 | 4661 | 561 | 5222 |

المصدر، **دليل الجامعة الليبية**71- 1972، صـ 322- 323

هذا التفاوت الكمي في معدل الانضمام الجامعي له دلالات معرفية نستبين منها الرغبة الأهلية في استكمال الأبناء لدراستهم الجامعية، ففي البداية كانت الأعداد قليلة ويبدو أنها مرهونة بخلفية الطلبة الاجتماعية فهم أما من الفئات المتنفذة في الدولة، أو من أبناء الأسر الميسورة الحال ماديا بسبب قدرة ذويهم على تحمل النفقات الجامعية، ولكن بعد تطور البلاد اقتصاديا خاصة بعد التصدير النفطي 611962، وتحسن الظروف المادية ، وتزايد أعداد الطبقة المتوسطة اتسعت الدائرة الجامعية لتشمل فئات من أصول اجتماعية أخرى، مكنهم نظام المنح المالية من مواصلة دراستهم، وعدم الاقتصار على الدراسات الأولية ، وقد حاولت هذه الفئة الطلابية من خلال الدراسة الارتقاء في السلم الاجتماعي للوصول إلى مكانة أفضل، والمطالبة فيما بعد بالحرية والعدالة الاجتماعية والمساواة، فكانت هذه الفئة فيما بعد أساس التغيير المجتمعي على كافة الأصعدة.فالجامعة أسهمت في تفوق اجتماعي في المجال المعرفي بهدف الرقي المجتمعي.

و الارتفاع الكمي يدل على مدى التهافت في الارتواء من ينابيع الثقافة التي لم تعد حكرا على البنين فقط بل أن الإناث أسهموا بنصيب في هذه المؤشرات حيث بلغ عددهم في العام الجامعي 70-ـ 1971 حوالي 561 طالبة، وقد يبدو عددهم قليلا جدا لأول وهلة ولكن مقارنة بالظروف الاجتماعية آنذاك يعد إنجازا لابأس به. بل أن عدم الاكتفاء بتخصصات الآداب والتربية التي تهي المرأة للسلك التعليمي والولوج إلى حقول معرفية مثل الهندسة والحقوق وغيرها كانت قاصرة فيما مضى على الرجال يعكس تغيرا في منظومة المفاهيم المعرفية العامة بدخول المرأة مجال اللامسموح رغم ثقافة الرفض المجتمعي لمثل هذه التخصصات.

هذا وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن التلاقح لم يكن كونه فكريا محضا بل اجتماعيا أيضا من خلال الزيجات المتنوعة من الوسط الجامعي والتي أسهمت في تعزيز مفهوم الاندماج الوطني بين الولايات الليبية [14].

وإجمالا يمكننا القول أن الجامعة أسهمت في توسيع قاعدة التعليم ليشمل كافة الأطراف من خلال تبني سياسة الباب المفتوح بهدف تلبية الطلب المتزايد على المخرجات الجامعية من مؤسسات الدولة المختلفة والذي تزامن مع التغيرات الاقتصادية المصاحبة لظهور النفط.

وفي إطار صيرورة الجامعة الليبية تراكمت مجموعة من المشاكل والمصاعب التي اعترضت هذه الصيرورة ومنها: محدودية القدرة الاستيعابية للمؤسسة الجامعية للأعداد المتزايدة، وقد حاولت الجامعة تخطي هذا المعوق بإضافة المباني المجاورة للجامعة، وإنشاء مباني جديدة، وانتهاء بإقامة المدينة الجامعية سنة 1968 على مساحة تقدر بحوالي 800 هكتار، لتوفر فضاء رحبا لكل المنتمين للمؤسسة الجامعية[15].

**ظاهرة التشكل للفضاءات الثقافية**

الجامعة عبارة عن بنية شمولية متعددة الأبعاد والدلالات فاستراتيجيتها الثقافية كانت تهدف للوصول إلى عدد أكبر من الطلاب لتمكين الجميع من تطوير وتنمية المواهب والمعارف من خلال مواكبة الأحداث الثقافية التي من شأنها أن تغني وتثري التعدد الثقافي.

لقد أوكلت للجامعة الليبية تكوين الكوادر الوطنية التي تطلبتها مرحلة الاستقلال السياسي، وفي المقابل حاولت قدر الإمكان تكوين مواطن متسم بمواصفات فكرية وقيمية وسياسية واجتماعية معينة، وتشكيل نخبة متثقفة.

وتأسيسا على ما سبق أولت الجامعة الليبية أهمية بالغة للعمل الثقافي باعتبار أن الثقافة مكونا أساسيا لشخصية الفرد وعاملا من عوامل بناء الذات والهوية. وقد كانت التظاهرات الثقافية فضاء حيا لإحياء العمل الثقافي، ومناسبة لإشعاع الجامعة على محيطها الخارجي، وكان الاهتمام الثقافي يتسم بالشمولية والتنوع والتعدد.

وأهم المنابر الثقافية التي احتضنتها الجامعة هي الجمعيات الطلابية فقد كان لكل قسم جمعية خاصة به مثل جمعية ابن خلدون لقسم علم الاجتماع، وجمعية ابن سيناء

[14]- سالم الكبتي، **المرجع السابق**، صـ53.
[15]- **دليل الجامعة الليبية**، صـ24.

لقسم الفلسفة وجمعية أحمد رفيق المهدوي، وجمعية شكسبير وغيرها. وارتكز نشاط هذه الجمعيات على إلقاء المحاضرات، وعقد الندوات والأمسيات الشعرية فشكلت آنذاك أهم روافد المعرفة الطلابية، ولم يقتصر الدور الثقافي المتميز للطلبة عند هذا الحد بل عملوا على إصدار الصحف والمجلات الثقافية ومنها على سبيل الاستدلال: مجلتا قورينا وفينوس اللتان يصدرهما طلبة كلية الآداب، ومجلات الطالب الاقتصادي وإدارة الأعمال التي تصدرها كلية الاقتصاد.[16]

وتعد مجلة قورينا أهم الإصدارات الجامعية على الإطلاق التي بدأت في الصدور بداية من ديسمبر1966 عن قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، ثم اتسع نطاق تداولها خارج الجامعة وكانت سجلا يحتوي على النتاج الفكري والعلمي للأساتذة والطلاب في عملية تواصل وتفاعل ثقافي بين الطرفين.

ومن خلال تصفح بعض مواضيع هذه المجلات تتضح القدرة البحثية والعلمية للطلبة الذين لم يتركوا فرعا من فروع المعرفة إلا حاولوا الكتابة فيه.[17]وكان لهذه الصحف دور في نشر الثقافة الوطنية والانفتاح على الثقافة العربية والعالمية، فساهمت بذلك في التنوير وزيادة المعرفة، وكانت الحاضنة الشرعية لولادة الكثير من المبدعين والمثقفين الذين أثروا الحياة الثقافية والسياسية.

إن مجتمع الجامعة الجامع تجمعت فيه خلاصة المواهب الليبية المتفوقة والناشئة، وكانت هذه القدرات تختمر وتتفاعل، وتستبين مسار توجهاتها الفكرية، فبرزت ثقافة الحوار حيث كان النيهوم يلتقي مع عمر النامي في مناظرات فكرية استقطبت طلاب الجامعة عامة للمشاركة بالحضور والنقاش، وإصدار الملاحم الشعرية كملحمة الزي الجامعي. فالإنتاج المعرفي الطلابي اتسم بالثراء الفكري.

ودأبت الجامعة على تعزيز العلاقة مع البيئة المحلية، وخلق ثقافة المواطنة من خلال تنظيم الرحلات العلمية داخل البلاد لزيارة الأماكن الأثرية والمناطق البترولية، بل عملت على مكأفاة الطلبة المتفوقين بإرسالهم في رحلات قصيرة إلى دول أجنبية وعربية لتوسيع مداركهم، ومعرفة العالم من حولهم. ومنها على سبيل المثال طلبة اللغة الانجليزية الذين سافروا إلى لندن سنة 1959 للالتحاق بجامعاتها، وتمضية فترة الصيف في دراسة الأدب الانجليزي. فضلا عن إرسال طلبة من مختلف التخصصات المعرفية إلى تونس حيث أوفدت أربعة طلبة من كلية الآداب للاطلاع على نظام الفهارس والكتب والمخطوطات، أما طلبة العلوم فكان الهدف من إرسالهم المشاركة في الدورة التي تنظمها اليونيسكو لدراسة أملاح التربة، فضلا عن زيارة المختبرات الكيمائية والنباتية، أما فريق التجارة فكان هدفه من الرحلة التردد على مراكز الإحصاء والمؤسسات التجارية. هذه الجهود في مجملها كانت في إطار التدريب والتمكين المعرفي للحصول على فائدة أكثر وثقافة أوسع[18].

وحاولت الجامعة مواكبة مختلف التحولات المعرفية من خلال مكتبتها التي وفرت الكتب محليا وعالميا، حيث شملت المكتبة مايقرب من 33ألف مجلد باللغة العربية، 21 ألف مجلد باللغات الأجنبية، وهي مصنفة بحسب أحدث النظريات العلمية، وكان

---

[16]- **دليل الجامعة**، صـ 78.
[17]- **مجلة قورينا**، العدد الأول، 1958.
[18]- **مجلة طرابلس الغرب**، السنة السادسة، العدد السابع ، أغسطس 1959.

للمكتبة 16 اشتراكا بالمجلات العربية، و95 اشتراكا بالمجلات الأجنبية، لتوسيع مدارك الطلاب، وتزويدهم بالآراء والنظريات الجديدة في مختلف مجالات العلم والمعرفة[19].

إن جدلية التشكل والتكوين الثقافي تجعلنا نتساءل عن دور هذه المؤسسة الجامعية في التفاعل مع الوسط الخارجي. هل كانت هامشية التأثير والتأثر؟ أو فاعلة بالقدر الذي يجعلها محرك المجتمع ... وهل كانت العلاقة تبادلية تكاملية مع المحيط المجتمعي ومع مايعرفه هذا المحيط وطنيا وإقليميا ودوليا من تحولات ومستجدات مستحدثة سواء أكانت سياسية أو معرفية.

هذه التساؤلات وغيرها تحتاج منا إلى توضيح آليات التفاعل بين الاثنين، فالدارسات الميدانية التي قام بها طلاب الجامعة الليبية هي محاولة للربط مع المحيط الخارجي، وخلق مقاربة مع البيئة والمحيط بحيث يكون للجامعة دور في الحراك المجتمعي المتنامي.حيث أنجزت الكثير من البحوث العلمية والمسوح الميدانية في أقسام الجغرافيا والاجتماع والجيولوجيا والاقتصاد والتاريخ والآثار مثل دراسة الفاقد في التعليم عام 1968بشراكة بين الجامعة ووزارة التربية والتعليم. وفي السياق ذاته أنشئت قسم خاص بليبيا في المكتبة يحوي المصادر العربية والأجنبية بهدف تعميق البحث والاستقصاء عن المواضيع التي تتناول المجتمع الليبي في إطار توظيف إمكانياتها لخدمة البيئة والمحيط[20].

أما عن الإنتاج المعرفي فقد عملت الجامعة على توطين المعرفة والتعليم في محيطها بمنهجها المتطور، وإصدارها المنشورات ذات الشهرة الممتازة ،حيث احتوت هذه المطبوعات على دراسات وتراجم وأبحاث في كافة العلوم والمعارف وكان أغلبها يتصل بالواقع الليبي، وقد عملت المنشورات على تنويع وتعميق أساسيات المعرفة حول الإنسان والمجتمع.

ولاشك أن إقامة المواسم الثقافية لعدة سنوات كانت فرصة للإطلالة على تيارات الفكر العالمية في عملية تواصل وتفاعل ثقافيبدعوة الأساتذة الزائرين والمتواجدين بالكليات في مختلف العلوم لإلقاء محاضراتهم، بغية الإسهام في توسيع قاعدة المستفيدين من هذه البرامج من الفئات الشابة والمثقفة[21].

وفي إطار نشاطها العلمي تبنت الجامعة مسألة التواصل العلمي مع الآخر من خلال تنظيمها للمؤتمرات الدولية كمؤتمر خبراء التعليم العرب عام 1961، والمؤتمر التاريخي ليبيا عبر العصور في مارس 1968، وحضره العديد من الباحثين المحليين والعرب والأجانب، وقد أصدرت الجامعة أعمال هذا المؤتمر في مجلد يعد من أهم الكتب المرجعية التي تزخر بها اليوم المكتبات الليبية في دراسة التاريخ الليبي[22].

وكانت الجامعة حريصة على تكوين الكوادر التدريسية المحلية فهي أحد أهم أهدافها ، حيث قامت بإيفاد الطلبة لجامعات خارجية للتحصيل العلمي، وكانت فلسفة الإيفاد ترتكز بصورة أساسية على الجامعات الغربية ذات الشهرة العلمية عالميا والجدول التالي يوضح هذه الحقيقة...

---

[19]- عبدالعزيز زواوة ومصطفى الشنواني ،**صور من تطور المجتمع الليبي**،، دار ليبيا، بنغازي،1967،صـ 105.

[20]- المرجع نفسه، صـ 105.

[21]- المواسم الثقافية، **مجلة كلية الآداب**،العدد الثالث، 1969، صـ223.

[22]- **مجلة كلية الآداب**، العدد الثاني 1968.صـ 250.

**(جدول 2) المعيدون حسب بلدان الدراسة للعام الجامعي 70_ 1971**

| الكلية | مصر | أمريكيا | بريطانيا | فرنسا | ألمانيا | موجدون بالكلية | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الآداب | 9 | 23 | 15 | 9 | 1 | 2 | 59 |
| الاقتصاد والتجارة | 1 | 38 | 2 | - | 1 | 8 | 50 |
| العلوم | _ | 34 | 11 | 1 | 1 | 14 | 61 |
| الحقوق | 3 | - | - | 19 | - | - | 22 |
| الهندسة | - | 48 | 13 | - | 3 | 10 | 74 |
| التربية | 9 | 58 | 12 | 5 | - | 4 | 88 |
| الزراعة | _ | 45 | 2 | - | - | 10 | 57 |
| الطب | _ | 2 | 21 | - | - | 1 | 24 |
| اللغة العربية | 12 | - | 1 | - | - | - | 13 |
| المجموع | 34 | 248 | 77 | 34 | 6 | 49 | 448 |

المصدر: **دليل الجامعة الليبية**، صـ 328

ولا نعدو الحقيقة أذا قلنا أن عودة البعثات التعليميـة من الشـرق والغـرب محملـة إلى جانب تخصصاتها الأصلية نظريات وأفكار جديدة في مجـال الثقافـة والعلم والحضـارة، عمل على تكوين النخب الوطنية المتثقفة الـتي أرسـت مفـاهيم جديـدة، وقـادت البلاد نحو التفتح الحضاري بالاستفادة من الإنتاج الفكري للحداثة الغربيـة، ممـا كـان لـه أثـر بتعزيز ثقافة التحاور وتعدد المنهجيات العلمية. هذه الفسيفساء المنهجية رغم أهميتهـا افتقدت لخاصية الدمج في البنية التعليمية المحلية،تجلت آثارها في عدم تبني الليـبيون لمنهجية بحثية واضحة المعالم والتوجهات والذي يعد إشكالا منهجيا قائمـا إلى اللحظـة الراهنة.

وعلى الرغم من أن البعثات اتسمت بـالتنوع والاختلاف والانفتـاح على التطـور العلمي في مجال العلوم الإنسانية والتطبيقية، فإن هذه الرؤية الانفتاحيـة تبلـورت بمعـزل عن تحديث العقلية الثقافية الـتي ظلت مشـدودة إلى مدرسـة التلقين والتلقي ولم تتمكن من الانفكاك منها بأي حال من الأحوال بسبب التراكم المعرفي في الذاكرة الجماعيـة لحقب زمنية طويلة.

إن السـياق التـاريخي الـذي شـهد ظهـور الجامعـة الليبيـة في وقت كـانت فيـه البلاد فيدرالية اتحادية تتنازعها تجاذبات سياسية وانقسامات جهوية فهي مقسمة إلى ولايات ثلاث ( برقة وطرابلس وفزان) يوضح بجلاء صـعوبة الانـدماج الاجتمـاعي، ورغم ذلـك فأن سبل الانضمام للجامعة حسـب التخصصـات المعرفيـة كمـا أشـرنا سـلفا يقتضـي بطبيعة الحال الإقامة في طرابلس أو بنغازي.هذا التعايش أفرز بطبيعة الحال انصـهارا واندماجا في بوتقة الوطن فكانت أحدى علامات تكوين الشخصية الوطنية.

وعلى الرغم من إسهام الجامعة في محاولة تفكيك المنظومـة القبليـة لإيقـاف تأثيرهـا السياسي، وحصر وجودها في نـواحي محـدودة جـداً من الجـانب الاجتمـاعي من خلال ثقافة مدنية حضرية بديلة يتسـاوى فيهـا النـاس جميعـا أمـام القـانون، ورفض الثقافـة السائدة كونها توفيقية تسويغية لسـيطرة تقليديـة على مفاصـل الدولـة، فـإن المكـون الاجتماعي لتشكل الدولة الليبية في الخمسينيات كان أقوى تأثيرا من الدور الجـامعي. لذا حاول الدفاع عن نفسه واسـتمرار هيمنتـه على مؤسسـات الدولـة أمـام محـاولات الجامعة الوليدة.

على أن التنمية الثقافية لم تكن قاصرة على النواحي العلمية فقط بل عرفت الجامعة الليبية آنـذاك تـوترات وصـراعات سياسـية وثقافيـة وفكريـة عامـة كـانت تحركهـا في مجملها دوافع داخلية ممثلة في طموح الغالبية الطلابية في جعل الجامعة ميدانا للفكر الحر، وقطبا جاذبا ومحركا للتجديد والتغير والتنميـة والحداثـة، وعوامـل خارجيـة تجلت في التيارات الساخنة وخاصة الايدولوجيا الناصرية المدعومة بعناصـرها المتواجـدة في الداخل بقوة سواء في قطـاع التعليم المتوسـط أو المؤسسـة الجامعيـة، الأمـر الـذي كان له أكبر الأثر في تدشين القطيعـة مـع المؤسسـة السياسـية. تلـك القطيعـة الـتي أفضت لحزمة من القرارات والإجراءات بتكبيل الحركة الطلابية واعتقال أفرادها سـنة 1961[23]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل للتصادم مع القوى الأمنية في أحداث يناير سنة1964، وكإجراء متمم لذلك تم إيقاف المنح الخارجية في الفترة الممتدة من سنة 64ـ 1968كوسيلة تأديبية لقمع الثقافة السياسية المتنامية في ظل غياب رؤية عقلانية لتفاعلات الفضاء الجامعي فكريا وسياسيا واجتماعيا[24].

بل أن هاجس القلق السياسي للنخبة الحاكمة جعلها تفكر في نقـل مقـر الجامعـة إلى مناطق نائية كمدينة سوسة حـتى تكـون بعيـدة عن حـراك الشـارع ونبضـه، لكن هـذه المحاولة أخفقت بسبب حرص الفاعلين في العملية التعليمية على أن تكون المؤسسة الجامعيـة ذات صـبغة مدنيـة صـرفة لتـؤدي دورهـا بفاعليـة في الـرقي الثقـافي والاجتماعي[25].

---

[23] **جريدة الأيام**، العدد الثالث، 25ـ 5ـ1964 .

[24] ـ محمد يوسف المقريف، **ليبيا بين الماضي والحاضر**، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، 2004،صـ 484.

[25] ـ محمد عثمان الصيد، **محطات من تاريخ ليبيا** ، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1996 ،صـ 206.

إن جدلية العلاقة بين القوى الطلابية والمؤسسة السياسية كانت غاية في التداخل والتعقيد ، فالصراع لم يكن على وتيرة واحدة بل تخللته فترات تهدئة. حيث قامت السلطة الحاكمة بنوع من المصالحة الاضطرارية بتعيين الشباب في الوزارة الحكومية، ومحاولة الحد من نفوذ الأجهزة الأمنية، كما حدث في حكومة عبدالحميد البكوش[26].

والحقيقة أن زيادة تنامي الطبقة الوسطى من خريجي الجامعات جعلها تطالب بأكبر قدر من المشاركة السياسية، وحاولت تقديم قيادات فكرية للتغيير الاجتماعي والسياسي المنشود، فأدى ذلك إلى زيادة الاغتراب السياسي، ونمو تنظيمات سرية كحزب البعث والقوميين العرب والإخوان المسلمين تتحدى الشرعية الحاكمة وتطالب بالإصلاح الاقتصادي، وتصفية القواعد العسكرية ففقدت الظاهرة السنوسية تأثيرها الشعبي[27] بسبب نمطية المنظومة السياسية، وعدم قدرتها على احتواء المنظومة المعرفية.

إن الحتمية التاريخية فرضت نفسها بانسلاخ الجامعة عن نظامها السياسي الهش، ومع ذلك ظلت تشكل علامة فارقة في التطور الثقافي والمجتمعي في آن واحد من خلال مخرجاتها المتنوعة، فقد قامت الجامعة بمد البلاد بأفواج متعاقبة من الخريجين في مختلف التخصصات، فخريجو كلية الآداب يعملون بالوزارات والمصالح الحكومية وخاصة وزارة التربية والتعليم والخارجية والإعلام والثقافة والعمل والشئون الاجتماعية، في حين خريجو الاقتصاد اتجهوا إلى وزارات الخزانة والتنمية والخدمة المدنية والاقتصاد الوطني. وبعبارة أخرى أنهم يتجهون للعمل في القطاعات الحكومية، في حين لم يتمكن القطاع الخاص من جذبهم للعمل معه. ولاشك أن خريجي الجامعة الليبية شكلوا روافد للدولة حتى في البنية السياسية فحكومات الستينات احتوت ضمن هياكلها خريجي الجامعة الليبية كنوع من المشاركة السياسية بين الفئة المثقفة والفئة التقليدية الحاكمة[28].

كان لمخرجات التعليم الجامعي والتي تبؤات مناصب هامة لهم الدور العلمي الفاعل في التأكيد على الوجود الفعلي لوحدة تجانس أبناء البلاد وتقاربهم ممهدا للتوجه نحو إقرار نظام سياسي موحد يشمل جميع أرجاء البلاد. وهذا يفسر غياب المعارضة الفعلية لدمج الولايات الليبية سنة 1963.

هذه المخرجات رغم أهميتها فأنها تعاني من ارتفاع نسبة خريجي الدراسات النظرية، في حين أن المرحلة تستدعي مزيدا من الاهتمام بالتخصصات التطبيقية اللازمة لمرحلة التطور الاقتصادي والاجتماعي التي تمر بها البلاد وقتئذ والتي ظلت حكرا على العناصر الوافدة من الخارج لفترة زمنية طويلة.فضلا على أن هؤلاء الخريجين اجتذبتهم المدن بمغرياتها للعمل والإقامة فتركوا بيئاتهم الأصلية فأسهم ذلك في بقاء الريف في بؤرة الجمود الثقافي، فكان بمنأ ومعزل عن التيارات الفكرية الوافدة التي تؤدي إلى تحديثه وتغيير نمط تفكير ساكنيه.

---

[26]- مصطفى بن حليم، **انبعاث أمة وسقوط دولة**، صـ356.

[27]- مالك أبو شهيوة، **النظام السياسي الليبي**، ( رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1977 ،صـ 237.

[28]- شعيب المنصوري، "خريجو الجامعة الليبية"،**مجلة كلية الآداب**، العدد الرابع، 1972، صـ166- 170.

## الخاتمـــــــــة

لقد كانت الجامعة الليبية في الخمسينيات فضاء للتفكير الحر والبحث العلمي، وتكوين المواطنة، وفي إجراء عملية مراكمة ممنهجـة للمعـارف والخـبرات، وتحويـل كـل هـذا التراكم المعرفي والقيمي إلى منتوج ثقافي واجتماعي، فالدلالات المعرفيـة تؤكـد دور الجامعة في محاولة خلق مجتمع المعرفة نقلا وإنتاجا وتوظيفا.

وأسهمت في خلق ثقافة مدنيـة بديلـة عن ثقافـة الباديـة بهـدف إنتـاج وبلـورة خطـاب وطني ينبذ الجهوية والمناطقية، ويشدد على الوحدة الوطنية.

إن الدور المجتمعي الذي اختصت به الجامعة الليبية قد شـهد تراجعـا نتيجـة الاسـتلاب الثقـافي والسياسـي للسـلطة الحاكمـة الأمـر الـذي تـرك أرضـية هشـة لواقـع التعليم ومخرجاته التي بدأت ترفد السلطة وتؤازرها مما شكل ذلك عدم استقرار المؤسسات التعليمية في أجواء القلق، وامتناع الأداء العلمي الموضوعي وعدم الاستقرار.

فالمؤسســة السياســية عملت فيمــا بعــد على انتهــاك الجامعــة عن طريــق التعبئــة الأيدلوجية، وفرض شرعية الثورة وتفتيت الجامعـات وكأنهـا جـزر مثنـاترة ، فضـلا عن القضاء على الفاعليات الطلابية والفكريـة ورموزهـا بالإقصـاء تـارة وبالقتـل والتشـريد تارة أخرى. مما أسهم في تكوين جيل يشـعر بـالاغتراب وعـدم الانتمـاء لهويـة وطنيـة جمعية تستوعب كل روافد الكيان الليبي .

الأمر الذي يتطلب القيام بمراجعات تصحيحية حول التوسـع الكمي للجامعـات الليبيـة، ونمطية التكوين الفكـري للمقـررات الدراسـية، وتطـوير الإدارة التعليميـة، والاسـتعانة بالتكنولوجيا وتوطينها في الوسـط الجـامعي، وبعبـارة أخـرى تبـني إسـتراتيجية وطنيـة فاعلة تعالج الاختناقات والصعوبات والتحديات التي تواجه المؤسسات التعليمية العليـا، لتساهم بفاعلية في قهر التخلف الاجتماعي، و خلق مجتمع العلم والمعرفة.